

« العمل شرف »

فيلم تسجيلي ملون في أربعين دقيقة
(ناطق باللغتين العربية والانجليزية)

سيناريو واخراج : عبد القادر التلمساني
مدير التصوير : حسن التلمساني
مونتاج : حسين عفيفي
تعليق : صلاح حافظ - أحمد خميس
موسيقى : عبد العظيم عويضة
مهندس الصوت : جميل عزيز
انتاج سنة ١٩٨٦ (لحساب شركة «المقاولون العرب» عثمان أحمد عثمان وشركاه)

الموضوع :

تلقت النظر في مصر تجربة «المقاولون العرب» فهي من المؤسسات النادرة التي نمت في ظل القطاع العام، وتحولت إلى عملاق في عالم البناء والانشاء. والسبب هو أنها بعد التأميم حافظت على العقيدة التي كانت سبب نجاحها قبل التأميم: عقيدة أن الأصل والأساس والمفتاح لكل نجاح هو الإنسان. ولهذا يبدأ «المقاولون العرب» دائماً بتدريب العاملين وإعدادهم فنياً، ورعايتهم وحفزهم معنوياً، وإقناعهم بأنهم قادرون على صنع المستحيل ثم إطلاق مواهبهم تصنع هذا المستحيل.

وبفضل رسوخ هذه العقيدة، فإنه لا يكاد يوجد موقع في مصر - فضلاً عن البلاد العربية الشقيقة - يخلو من عمل يحمل اسمهم ويؤكد أنه حين يريد الإنسان .. يخضع للمستحيل!

التعليق :

● شيد المصريون حضارتهم منذ فجر التاريخ، فكانت إلهاماً للحضارات الأخرى. واليوم يتصل الماضي بالحاضر، ويواصل أحفادهم البناء.

● لا يبنى الحضارة إلا الإنسان. ويتوقف نجاحه على صقل مواهبه وتنمية قدراته بالتدريب العلمى والفنى الجاد. ولهذا حرص مؤسس المقاولون العرب، المهندس عثمان أحمد عثمان، على فتح مدارس التدريب دائماً فى مواقع العمل.

● وقد كان السد العالى مدرسة تخرجت فيها أجيال من الكفاءات وقيادات العمل التى تواصل الآن عطاءها على نطاق مصر والأمة العربية.

«وللمقاولون العرب» اليوم جامعة عمالية على مقربة من أهرام الجيزة إسمها معهد تدريب الهرم حيث يتدرب المهندسون والفنيون والإداريون على المهام التى ستواجههم فى مواقع أعمالهم بالشركة.

ويتبادل المعهد الخبرات والدراسات مع المعاهد المماثلة فى العالم.. والحصول على شهادة منه تعنى أن صاحبها قد أصبح مؤهلاً للانضمام إلى جيش بناء الحضارة فى مصر.

● وللمعهد مكتبة علمية كبيرة، تضم العديد من المراجع العلمية المتخصصة، يطلع عليها الدارسون وأبناء الشركة.

ويحرص رئيس الشركة على لقاء الدارسين يتحدث معهم ويستمع إليهم ويسلمهم شهادات انتخرج فى نهاية كل دورة.

● وبفروع الشركة بشبرا.. الذى يعد القلعة الصناعية للمقاولون العرب، اقيم داخل ورشه المتعددة والمتطورة مركز للتدريب على المهن الميكانيكية كالبرادة والخراطة واللحام.. وما إليها، كما أن فى طنطا وأسيوط معاهد ومراكز مماثلة.

● لا يزال الأب الروحى لأسرة «المقاولون العرب» هو المهندس الذى أسسها، وكان لقبه منذ فجر شبابه: المعلم عثمان أحمد عثمان.

«كلمة معلم دى فعلاً لها عندى حاجات كثيرة ولها تأثير. إنما زى ما قلت أنا للشباب. راجل عاوز يشتغل وطموح.. فكانت بقوم بدرى وأروح على القهوة واخذ بعض المعلمين. بتا.. نجار.. عامل حفر. وأخذهم معايا وأروح موقع العمل. حتى أنا فاكر أول عملية. أنا بنيت جراح فكانت برتبهم.. يعنى أرتب المونا. ارسوم الحفر. الخرسانة. ارتبهم. هما خمس ست عمال فكان يوم ما أتأخر عليهم أو يعوزوا حاجة يقولوا: المعلم فىن؟ المعلم ما جاش ليه؟ اطلقوا عليا، وهم مش دريانيين إذا كنت أنا مهندس أو مش مهندس. وأنا مش عاوز أقول مهندس. إنما كلمة معلم جات من أنهم شافوا أنى برتبهم الصبح. فصاروا ما يتكلموش غير على المعلم. وراح المعلم وجاء المعلم. الأولاد فى البيت لقطوا الكلمة دى فبأوا يقولوها لى فى البيت. ضحك الأول وبعدين إيه رأيك أنها سارت فى كل حته كلمة المعلم. وسبقتنى إلى كل البلاد العربية. حتى فى أمريكا رحلت لقيت بعض اخواننا المصريين ندهولى يا معلم اتفضل. أنا كنت اركز دائماً على الحاجات القومية. كان فيه كفر أحمد عبده فى السويس كان فيه الفدائيين يطلعوا يعملو بعض الحركات مع

الانجليز هنا وهنا. الانجليز خدو باهم راحوا هدموا هذا الكفر بالدبابات واتعمل عطاء ودخلت فى هذا العطاء. أنا كنت مقال صغير. والحمد لله ربنا وفقنى. عملنا ١٦١ بيت فى شهر وده كان أول نجاح لى والحمد لله».

● أقام المقاولون العرب عشرات من المساجد التى تعتبر تحفا معمارية. ومنها مسجد الفتح بالقاهرة، التى ترتفع مئذنته مائة وثلاثين متراً.. أعلى مئذنة فى تاريخ الإسلام.

● وفى قنا تجرى أعمال تجديد وتوسعة مسجد العارف بالله سيدى عبدالرحيم القنائى، مع المحافظة على طابعه الإسلامى والتاريخى.

● وفى طنطا قام أبناء المقاولون العرب بتوسعة مسجد العارف بالله سيدى أحمد البدوى وبناء قباب جديدة ومئذنتين جديدتين بارتفاع ٨٠ متراً للمئذنة.

● بدأ المقاولون العرب مسيرتهم فى حقل الاسكان ببناء كفر أحمد عبده عام ١٩٥١، وعقب نصر أكتوبر كان تعمير مدن القناة. وفى الاسماعيلية اقيمت مدينة الشيخ زايد التى تتكون من ١١٠٠ وحدة اسكان اقتصادى.

● وفى قرية ميت أبو الكوم الجديدة وقرية أبو سلطان روعى فى التصميمات الطابع الريفى الذى يناسب الفلاح المصرى.

● لكن مايناسب ميت أبو الكوم لايناسب قنا، حيث يختلف طابع الوحدات السكنية التى بينها المقاولون العرب.

● وفى مدينة نصر يختلف الطابع مرة أخرى. فهنا مدن سكنية كاملة لضباط القوات المسلحة وجنودها. كمدينة التوفيق، وامتداد العباسية والجبل الأخضر، والمدينة العسكرية بالكيلو ٤,٥ على طريق السويس.

● وبمنطقة الميرلاند أبراج سكنية عملاقة تماثلها أبراج المعادى.. بخلاف آلاف الوحدات السكنية الأخرى بمناطق عين شمس وحلوان ومصر الجديدة والاسكندرية والمدن الجديدة.

● ومن المنشآت العامة برج إرشاد السفن بالاسماعيلية لتنظيم حركة الملاحة بقناة السويس. وتبلغ مدى الروية من البرج العلوى ٢٨ كيلو متراً.

● وفى بورسعيد أقام المقاولون مبنى الديوان العام لهيئة الميناء.

● وأيضاً مبنى أكاديمية السادات للعلوم الادارية.

● وفى القاهرة مبنى وزارة العدل العملاق.

● وملحق مبنى مجلس الشعب.

- وبالصعيد مبنى محافظة قنا الجديد .
- ومبنى مديرية أمن أسوان .. وغيره من المنشآت العامة .
- كانت توسعات جامعة القاهرة أول منشأة جامعية يتولاها المقاولون العرب .
- ثم تلها منشآت جامعة الأزهر بمدينة نصر .
- ثم منشآت جامعة الأزهر بطنطا .
- ثم أكاديمية العلوم الطبية بطنطا أيضاً .
- ثم منشآت جامعة المنوفية بشبين الكوم .
- أما جامعة قناة السويس، فتنشر مبانيها على امتداد القناة لأن بعض كلياتها فى الاسماعيلية .
- والبعض الآخر فى بور سعيد .
- وفى الاسكندرية أقام المقاولون العرب قاعة المؤتمرات العالمية ومجمع المدرجات . ومباني كلية التربية .. ومباني كلية طب الأسنان .
- أما التحفة المعمارية حقاً، فهى الجامعة الافريقية فى أسوان التى صممت فوق صخور النيل بحيث تندمج معها، وتنسجم فى اللوحة الطبيعية التى ترسمها .
- وفى مجال الخدمات الطبية والمستشفيات، أقام المقاولون العرب المركز الطبى العملاق بمنطقة الجبل الأخضر .
- كما أقام المقاولون العرب المستشفى العسكرى بالاسكندرية الذى يعد أضخم مستشفى من نوعه بالشرق الأوسط . وكذلك توسعات مستشفى أسوان العام .
- ومنذ تحرير سيناء وأبناء المقاولون العرب ينشرون العمران على أرضها شمالاً وجنوباً . وفى العريش أقاموا مدينة سياحية كاملة المرافق والخدمات، هى نجمة سيناء .
- ومساهمة فى خدمة السياحة الداخلية والخارجية، أقاموا فندق إيتاب على بحيرة التمساح بالاسماعيلية .
- وعلى الجانب الآخر من البحيرة أقاموا نادى الفيروز .
- تحت الأرض أيضاً أنجز المقاولون العرب مشروعات عملاقة منذ الستينات لتجديد شبكات المياه والصرف الصحى التى انتهت أعمارها الافتراضية .

أحواض التنقية والمرشحات ومعظم خطوط الطرد والانحدار فى مدينة الأقصر.

● ثم مشروع الصرف الصحى العاجل بالاسكندرية. حيث تم فى زمن قياسى تجديد وإحلال الشبكات وخطوطها وتحويل الصرف من البحر إلى البر لتنعم عروس البحر الأبيض بشاطئه نظيف.

وبانجاز مشروع الصرف الصحى بشبرا تم القضاء على مشكلة الصرف على امتداد المنطقة الصناعية من شبرا حتى بهتيم.

● ومع ازدياد حركة المرور بالقاهرة الكبرى وتعقدها وانتهاء الأعمار الافتراضية لمعظم كبارى مصر، تزداد الحاجة إلى تجديد الكبارى واقامة كبارى جديدة وأنفاق. وبالتالي يزداد العبء الملقى على عاتق أبناء المقاولون العرب الذين نفذوا وينفذون معظم كبارى مصر وأنفاقها بكل تعقيداتها الهندسية، منذ تصيرهم لهذه الصناعة عند إقامتهم لكوبرى الجيزة الجديد مكان كوبرى عباس عام ١٩٦٩.

● بعد أكثر من ٧٠ سنة فى الخدمة أحيل كل من كوبرى الزمالك وكوبرى أبو العلا إلى المعاش! حيث أقيم كوبرى ١٥ مايو من ميدان سفنكس بالجيزة حتى مسجد السلطان أبو العلا، وله ١٥ مطلعا ومنزلا ويبلغ طوله بمنزله ومطالعه ٤,٥ كم.

● ويواصل الرجال عملهم ليل نهار، ويشقون جوف الأرض بكل مافها من عقبات ومصاعب لكى يقيموا أنفاق المترو فى قلب العاصمة.. من رمسيس حتى السيدة زينب بطول ٤,٥ كيلومتر.

● ويعد كوبرى ٦ أكتوبر أطول كوبرى من نوعه بالشرق الأوسط. تمثلت فيه كل التخصصات الانشائية والهندسية. ويمتد من الدقى حتى رمسيس ثم غمره.

ولا تزال السواعد الفتية المدربة تمد شرايين النقل والحياة بالنحاء مصر.

● كوبرى فيصل بالجيزة، شيد على ثلاثة مناسيب لأول مرة بمصر.

● وفى نفق الجلاء ونفق العروبة ضرب أبناء المقاولون العرب رقما قياسياً فى سرعة الانجاز وجودته.

● لكن الأهم كان نفق الشهيد أحمد حمدي، الذى عبروا به أسفل القطاع المائى لقناة السويس، ليرتبط الوادى بسيناء المحررة، حاملاً معه شرايين الماء والكهرباء.

ولأول مرة منذ دخلت السكك الحديدية مصر يقوم أبناء الشركة بتنفيذ مشروع سكة حديد المنصورة - بورسعيد.. وهو أول خط سكة حديد مصرى خالص، بما يحتاجه من كبار ومحطات ومسارن وجسر ترابى.

● بعد أن نفذ أبناء الشركة مطار القاهرة الدولى ومطار الظهران بالملكة العربية السعودية، لم

يكن صعبا عليهم تنفيذ أعمال تطوير مطار الأقصر، حيث صاغوا المبنى الجديد للركاب على طراز معبد الكرنك مفصحين بذلك عن هويتهم المصرية ومحافظين على الطابع الحضارى للمنطقة .

● وعلى مقربة من مطار القاهرة أقاموا مبنى الركاب رقم (٢) الذى شيده على غرار مطار شارل ديغول بباريس . فكان تحفة معمارية حضارية، وواجهة مشرفة لمصر.. وتم هذا الانجاز بالتعاون مع مجموعة من الشركات الفرنسية .

● وكان للرجال باع طويل فى إقامة الموانئ البحرية منذ أن شيدها ميناء مطروح . وبميناء بورسعيد شيدها عشر صوامع عملاقة، ومخازن ضخمة، وسيوراً لنقل الحبوب وتفريغها آلياً .

● وفى ميناء الدخيلة، الذى يعد الامتداد الطبيعى لميناء الاسكندرية زرعت الخبرة المصرية حواجز الأمواج ورصيف الحاويات وساحات لتشوين الخانات التى تحمى مجمع الحديد والصلب بالدخيلة .

● وفى ميناء الاسكندرية كركوا وطهروا البواغيز، وأقاموا الرصيف العميق لاستقبال البواخر العملاقة، وأقاموا ساحات تشوين جديدة، وبرجا لإرشاد السفن .

● وعلى بحيرة التمساح أقيمت الترسانة البحرية للمقاولون العرب التى تؤكد كل يوم قدرة وبراعة الأيدى المصرية فى تصنيع سفن الإمداد والأبحاث العلمية .. وعلى النيل الخالد وبمنطقة المعصرة أقاموا ترسانة أخرى .

● وفى حلوان قلعة مصر الصناعية، كانت لأبناء المقاولون العرب بصماتهم، حيث أقاموا مصانع الكوك والكيماويات الأساسية والدرفلة والحرايات .

● وفى مجال تنفيذ قلاع الأسمنت، بدأت المسيرة عام ١٩٥٦، عند تنفيذ خط الانتاج الأول للشركة القومية لانتاج الاسمنت، ومنذ هذا التاريخ والمقاولون العرب تفوز بعطاءات تنفيذ الأعمال المدنية والتركيبات لمعظم قلاع انتاج الأسمنت بانحاء مصر .

● ومن المصانع التى نفذتها الشركة مصنع انتاج الصباغة والكيماويات بكفر الدوار، وبه ٣٤ وحدة انتاج ومرافق وخدمات، ومدينة سكنية .

● وفى الحامول بمحافظة كفر الشيخ أقاموا مصنعا كبيراً لانتاج السكر من البنجر، وبه ثانى أكبر صومعة لتخزين السكر فى العالم .

● وفى كفر الدوار أيضاً أقاموا مصنع الألياف الصناعية التى تنسج مع القطن، ويعد من أضخم مصانع الشرق .

● وبمنطقة أبى قير أقيم مصنع سماد اليوريا الذى شيد على مساحة مائة فدان خلال ٤٠ شهراً فقط، وينتج ٤٦٥ ألف طن من سماد اليوريا .

● وفي صحراء الهؤ بنجع حامى أقسام المقاولون العرب مجمع الألومنيوم الذى يضم مصانع وخطوط إنتاج الألومنيوم، والمدينة السكنية، ومختلف المرافق والخدمات التى جعلت منه مدينة متكاملة فى قلب الصحراء.

● وفى مجال إنتاج الطاقة الكهربائية، أقامت الشركة محطة كهرباء أبوسلطان، التى تعد من أضخم محطات الطاقة بمصر لتغذية المشاريع الصناعية ببدن القناة، وتوجيه الطاقة الفائضة إلى القاهرة الكبرى.

● وعند السد العالى بأسوان لايمك «المقاولون العرب» حين يتأملون قنوات التحويل إلا أن يرتدوا بذكريتهم إلى الورا.. فهنا ولد إسمهم وهنا تعلموا الثقة بالنفس، والجرأة على اقتحام المصاعب، والإيمان بأن المصرى قادر على إنجاز كل مايتصدى لإنجازه. وكان السد مدرسة خرجت الأجيال وسياجى مصر التى باركها الله.

● وتكاتف السواعد من أجل انجاز مشروع سحارة طللمبات طرد السرو تحت ترعة السلام، وسحارة السلام تحت مصرف بحر حادوس، مما سيساعد على زراعة ٦٠٠ ألف فدان جديدة بحافظة الدقهلية. وهى تعادل ١٠% من المساحة المنزرعة بمصر.

● وقامت الأيدى المدربة أيضاً بتنفيذ مشروع تبطين ترعة الصالحية لرى ١٩٠ ألف فدان من الصحراء لزراعتها.

كان غزو الصحراء ضرورة لإضافة الآلاف من الأفدنة المستصلحة إلى الأراضى الزراعية لزيادة الانتاج الزراعى وإقامة مجتمعات حضارية جديدة.

٥٦٥٠٠ فدان أضيفت إلى الرقعة الزراعية بمصر تروى بنظام الرى بالرش المحورى والرى بالتنقيط.

ويعتمد مشروع الصالحية على الميكنة الكاملة فى الزراعة والحصاد.

● وكانت الصالحية من أوائل المشروعات التى استخدمت نظام الصوبات الزراعية.

كماضم المشروع ست محطات للدواجن، تنتج ٩٠ مليون بيضة سنويا.

وتساهم الصالحية الآن بنصيب كبير فى توفير اللحوم البلدية، حيث تورد الآلاف من رؤوس الماشية سنويا إلى وزارة التمرين، وتساهم بقسط كبير فى المشروع القومى لتربية البتلو.

وبالمشروع محطتان متطورتان للألبان، بطاقة ٣٠ طناً يومياً.. وهذا بعض حصاد الصالحية.

● ولأن الإنسان هو رأس مال الشركة، فانه يجب أن يستمتع بحياته ويطمئن على مستقبله حتى يؤدى مهمته فى البناء والتعمير. ولهذا فإن للمقاولون العرب مصيفا خاصا فى جصة، يتقاسمه المديرون والعمال.

- وللعاملين أيضاً دور حضانة، ترعى بناء الحضارة المصرية القادمين .
ومن أجل العاملين وأسرتهم أقيم المشروع الكبير للأسر المنتجة .
- ولم يكن صدفة أن يكون استاد المقاولون العرب الرياضى أضخم ساحة لممارسة الرياضة فى مصر بعد استاد القاهرة الكبير .

ويضم بداخله صالة ألعاب مغلقة وفندقاً سياحياً والعديد من الملاعب .

- وفى النادى الاجتماعى للشركة بالجيل الأخضر تلتقى أسرة الشركة كل عام فى مناسبة كبرى تؤكد ولاءهم للعقيدة التى كانت مصدر نجاحهم .

● مناسبة تكريم الذين أدوا رسالتهم من العمال والمهندسين والمدبرين .. وأن لهم أن يستمتعوا بشيخوخة هادئة راضية، تكريم الذين كانت مهنتهم البناء . وكانوا هم خامة البناء ورأس ماله .
فى هذه المناسبة يتلقون الشكر على ما بذلوه فى بناء حضارة مصر المعاصرة وفى تدريب وأعداد أبنائهم الذين سيواصلون الرسالة من بعدهم .

وفى هذه المناسبة يغمروهم بأناؤهم بالهدايا، ويقدم لهم صندوق التأمين وثيقة الامتيازات التى ادخرها من أجلهم .

وجيلاً بعد جيل يواصل أبناء المقاولون العرب رسالة الآباء، ويؤكدون المعنى الذى يكرره دائماً مؤسس عائلتهم، المعلم عثمان .

- «أنا باقول لأولادى النهاردة نصيحة بسيطة لا تكلفهم شىء أبداً .. أنا والحمد لله بعد السبعين .. ربنا والحمد لله وفقنى ووصلت إلى هذا . أى شاب يقدر يصل إلى هذا لازم يبقى اتصالة بالله عميق وشديد .. انتباهه لبلده شديد .. حبه لزميله وحب الخير له كبير .. من هنا يصل .. ويبقى هو أعطى عمل ومنتظرش حاجة وربنا شايف .. بعد كده يبقى زى ما باقوله دائماً يعمل ويدى . لأن العمل شرف والحاجة الوحيدة اللى تدافع عنك فى كل مكان وفى كل زمان هو عملك وعطاءك لأن العمل شرف» .

